مجلة "نتائج الفكر" الصادرة عن معهد الآداب واللغات
المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة

العدد 07 . السنة 2021، ص 65–79
ISSN 2477-992x / EISSN 2773-2762

المنهج التيسيري في المدرسة الأندلسية

Facilitative curriculum in the Andalusian school

1 د. بن عطّة صفيّة (المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة)
2 د. دوحاجي فاطمة (المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة)

تاريخ الإرسال: 2020/12/29	تاريخ القبول: 2021/01/09	تاريخ النشر 2021/01/20

مُلخّص البحث

كان الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس بادرة خير لتخليصها من الجهل والظّلمة، فانتشرت فيها مختلف العلوم، من علوم اللّغة، والفلسفة، والطبِّ، والفلك والرّياضيات، إلى غير ذلك من العلوم، حيث أقبل الأندلسيّون على تعلّم علوم اللّغة العربيّة مذ دخول الفاتحين إلى بلادهم، حيث أصبحت حلقات العلم في المساجد تستقطب الدّارسين والمهتمّين، يُلقي فيها العلماء دروس اللّغة العربيّة بمختلف فنونها، من تعلّم مبادئ اللّغة العربيّة، ودراسة النّصوص والأشعار. وقد لقيَ النّحو العربيّ إقبالا منقطع النّظير، كما نال اهتماما وعناية بالغتين، فقد عمل الدّارسون على كشف غموضه وتذليل صعابه، وذلك بتوظيف النُّظم في حفظ القواعد النّحوية.

كلمات مفتاحية: الأندلس، تيسير النحو، النظم، القواعد النّحوية.

Abstract: The Islamic conquest of Andalusia was a good gesture to rid it of ignorance and darkness, and various sciences spread in it, from the sciences of language, philosophy, medicine, astronomy and mathematics, to other sciences. Science seminars in mosques attract learners and those interested, in which scholars give lessons to the Arabic language in its various arts, from learning the principles of the Arabic language and studying texts and poems. The Arabic grammar has met unparalleled demand, as well as the attention and care of two adults. Scholars have worked to uncover its ambiguities and overcome its difficulties, by employing systems to preservegrammatical rules.

Keywords: Andalusia; Facilitation of grammar; systems; grammatical rules.

المؤلّف المرْسِل: بن عطة صفية، **الإيميل**:.safia.benatta@yahoo.com

مقدمة: شرّف الله اللّغة العربيّة بأن جعلها لغة القرآن الكريم، واللّغة التي يُتَعَبَّد بها، وما فتئ الإسلام يظهر في شبه الجزيرة العربيّة حتّى أقبل عليه النّاس من كلّ حدب وصوب، ينهلون منه العلم والفضائل، وما لبث أن غزا مشارق الأرض ومغاربها، فها هو موسى بن نصير يفتح بلاد الأندلس عام اثنين وتسعين للهجرة، وكان هذا الفتح بداية لنشر مختلف العلوم والمعارف، حيث عَني الأندلسيون بالاهتمام بعلوم اللّغة العربيّة، ولاسيما علم النّحو، ونظرا لتلاقح الحضارات ودخول الأعاجم إلى الإسلام واختلاط ألسنة العرب بهم، أخذت السّليقة اللّغوية العربيّة تَضمحلّ شيئا فشيئا، وازداد تصوّرهم بصعوبة النّحو وتعقيده، الأمر الذي دفع النّحاة إلى العمل على تيسير هذه الصّعوبة دون الإخلال بمبادئ اللّغة العربيّة، وذلك باستعمال الشّعر في حفظ القواعد النّحوية كونه أسهل من النّثر في هذه الميزة.

01. العوامل المساعدة على دخول النّحو إلى الأندلس:

أصبحت الأندلس ولاية تابعة للخلافة الأُموية في بلاد الشّام، بعد فتحها على يد الخليفة الأموي" الوليد بن عبد الملك" عام اثنين وتسعين للهجرة، وبعد سقوطها عام اثنين وثلاثين ومئة للهجرة، حاول يوسف الفهري[1] والي الأندلس أن يجعلها إمارة مستقلّة لا تتبع أحدا بعد الأمويّين، لكن سرعان ما تغيّر الأمر بعد وصول "عبد الرّحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك" الملقّب ب: "الدّاخل" إلى الحكم، حيث جعل الأندلس إمارة أموية من جديد، تتميّز بالطّابع الخِلافي، عاصرت هذه الإمارة دول إسلامية كثيرة وهي: الدّولة العبّاسية(132 – 656هـ)، دولة الأدارسة(172-

1 آخر ولاة الأندلس، عاصر سقوط الدّولة الأموية وقيام الدّولة العبّاسية، ظلّ عليها واليا إلى أن دخلها عبد الرّحمن بن معاوية، دامت خلافته من 129هـ إلى 138هـ.

296هـ)، دول الخوارج(140-296)، دولة بني رستم (144-296هـ)، الدّولة الفاطمية في المغرب(296-362هـ).[2]

وبعد استقرار الأندلس سياسيا، اجتماعيا وثقافيا على يد "عبد الرّحمن الدّاخل"، استقبلت عهدا جديدا، ففي عهده بدأ اتّصال أهل البلاد (الإسبان) بالثّقافة الإسلامية اتّصالا منظّما، واهتمّوا باللّغة العربيّة بعد اختلاطهم بالعرب الذين سكنوا بلادهم، واستقرّوا فيها عن طريق المعاملات، أو عن طريق الزواج الذي كثُر بينهم، لحاجة العرب الفاتحين إلى حياة عائلية مستقرّة، فأخذوا في حفظ القرآن الكريم وتعلّم علومه، بعد أن أصبح المصدر الأوّل للتّشريع في البلاد، وقويت به اللّغة العربيّة التي أصبحت لغة الدّولة والدّين. ممّا أدى إلى ظهور طبقة من المثقفين، عنيت باللّغة العربيّة وعلوم الدّين، سُميّت ب"المؤدِّبين"، وهي طبقة نشأت عن حاجة أهل البلاد إلى تعلّم اللّغة العربيّة.[3] ساعد على ظهور هذه الطّبقة الرّحلات التي كان يقوم بها الأندلسيّون إلى بلاد المشرق، يقتبسون من معارف علمائه، وينهلون من علومهم، إذ لم يكن في مقدورهم مشافهة الأعراب في البوادي، مع ذلك فقد كان لهذه الرّحلات المشرقيّة الحظّ الأوفر، والنّصيب الأعظم في رفع شأن اللّغة العربيّة، بتوافد المشارقة إلى الأندلس، رغبة في النّزوح إليها ماديّا وأدبيّا[4]. إضافة إلى ما تتصّف به من جمال وحسن، فقد وُصفت إشبيلية وهي أحد المدن الأندلسية على أنّها مدينة عامرة على ضفّة النّهر الكبير المعروف بنهر قرطبة، وعليه جسر مربوط بالسّفن، وبها أسواق قائمة وتجارات رابحة، وأهلها ذوو أموال عظيمة[5]"

2 يراجع، خليل إبراهيم السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مطلوب، دار الكتب الوطنية، بنغازي-ليبيا-ط1، 2000، ص: 361.

3 خديجة الحديثي، المدارس النّحوية، دار الامل، ألابد-الأردن-ط3، 2001، ص: 306، 307، 308.

4 يراجع، محمد الطنطاوي، نشأة النّحو وتاريخ أشهر النّحاة، دار المعارف، القاهرة-مصر-، ط2، د.ت، ص: 218،219.

5 أحمد بن محمّد المقري التّلمساني، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب،تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت-لبنان-دط، 1968، 158/1.

كما كان لهم فضل السّبق في العمل على رقيّ وازدهار الأندلس، حيث "أخذوا يعمّرونها بحضاراتهم وأخلاقهم وما أشرفوا على الدّنيا من قيم سامية وتعاليم نبيلة".[6]

نستشفّ من هذا القول أنّ الجند الفاتحين من بلاد الشّام، قد خلّقوا آثارهم وتركوا بصماتهم بارزة في العادات والتّقاليد، والحضارة والعلم والعمران.

وكان لعلم النّحو عموما، وعلم النّحو على الخصوص، النّصيب العظيم من اهتمام الأندلسيين، كما هو عليه الحال بالنّسبة لبلاد المشرق، وذلك لمكانة اللّغة العربيّة ومنزلتها، وصلتها بالقرآن الكريم، المصدر الأول للتّشريع، حيث إنّ اللّحن قد تفشّى في اللّغة العربيّة، وأصبح القرآن الكريم مهدّدا، فبادر "أبو الأسود الدّؤلي"[7] بإيعاز من الإمام "علي بن أبي طالب"-كرّم الله وجهه-بوضع قواعد النّحو والسبب في ذلك ما رواه أبو الأسود الدؤلي عن أبي طالب، يقول:" دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام، فوجدت في يده رقعة، فقلت: ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: إنّي تأمّلت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء، يغني الأعاجم، فأردت أن أضع شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه، ثمّ ألقى إليّ الرّقعة وفيها مكتوب: الكلام كلّه اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمّى، والفعل ما أُنبِئ به، والحرف ما أفاد معنى، وقال لي: انحُ هذا النّحو، وأضِف إليه ما وقع إليك، واعلم يا أبا الأسود أنّ الأسماء ثلاثة، ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر، وإنّما يتفاضل النّاس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر، وأراد بذلك الاسم المبهم. قال: ثمّ وضعت بابي العطف والنّعت، ثمّ بابي التعجّب والاستفهام، إلى أن وصلت إلى باب إنّ وأخواتها ما خلا لكنّ، فلمّا عرضها عليَّ عليٌّ عليه السّلام أمرني بضمّ لكنّ إليها، وكنت كلّما وضعت بابا من أبواب النّحو عرضتُه عليه، إلى أن حصَّلتُ ما فيه الكفاية، قال: ما أحسن هذا

6 سعيد الأفغاني، من تاريخ النّحو العربيّ، دار الفكر، بيروت-لبنان-دط، دت، ص: 95.

7 هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان، رجل من أهل البصرة، أول من أسّس العربيّة، ونهج سبلها، ووضع قياسها. توفي سنة تسع وستين للهجرة.

النّحو الذي قد نحوتَ ! فلذلك سمّي النّحو... وروى أنّ سبب وضع عليّ عليه السّلام لهذا العلم أنّه سمع أعرابيّا يقرأ﴿ لا يأكله إلّا الخاطئين ﴾فوضع النّحو".

فكانت بذلك نشأة النّحو العربيّ مشرقية أو عربيّة محضة. وبعبارة أدقّ بصريّة عراقيّة. حيث سار النّحو العربيّ في الأندلس بنفس خطوات ووتيرة سيره في المشرق.

فكان المؤدّبون يلجؤون بادئ الأمر إلى العناية بالنّصوص الأدبية، ودراسة النثر والشّعر على حدّ سواء، دراسة متكاملة الجوانب من أدب ونحو وحديث وقرآن[8]، ثمّ بعد ذلك ومع مرور الزّمن، أخذت العلوم والفنون تستقلّ عن بعضها البعض، وتأخذ طابعها الخاصّ بفعل التطوّر العلمي والحضاري.

02. عوامل نمو وازدهار النّحو في الأندلس:

لكلّ علم من العلوم عوامل تساعد على نموّه وازدهاره، كما أنّ هناك عوامل تساعد على تراجعه وانحطاطه، وعلم النّحو في الأندلس شأنه شأن العلوم الأخرى، ساعدت على نموّه عوامل جمّة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

01.02 الرّحلات العلمية:

قُسّمت الرّحلات التي كان يقوم بها علماء الأندلس على ثلاثة أقسام هي:

- رحلة كبرى إلى بلاد المشرق العربي من أجل لقاء العلماء المشارقة وأخذِ العلم منهم.
- رحلة وسطى إلى بعض المناطق القريبة من الأندلس كالقيروان من أجل تبادل المعارف والعلوم.
- رحلة صغرى، محدودة في بلاد الأندلس.

8 يراجع، من تاريخ النحو العربي، ص: 46.

بلغت الرّحلات العلميّة إلى المشرق أوْجَّ نشاطها في القرن الثالث الهجري، حيث كانت الرّحلات في معظمها مقرونة بفريضة الحجّ، أي تتمّ في مواسمه فقط، فقد كان الطلّاب يجمعون مختلف العلوم من حديث وتفسير وفقه ونحو وصرف، ثمّ يعودون بها إلى بلادهم[9].

02.02 الهجرة إلى الأندلس:

كانت الرّحلات التي يقوم بها علماء الأندلس إلى المشرق تقابلها في العادة هجرة بعض المشارقة إلى الأندلس لأهداف وأغراض مختلفة، كالتّجارة ونشر العلم والتمتّع بالجمال الذي حباه الله لهذه البلاد، غير أنّ هذه الهجرات لم تؤتِ أُكُلَها كما الرّحلات العلمية إلى بلاد المشرق لأسباب ثلاثة رئيسة:

1- قلّة المهاجرين إلى الأندلس: حيث إنّ عددهم كان قليلا جدّا إذا ما قورن وقيس بعدد الرّاحلين إلى المشرق.

2- طبيعة العلماء المهاجرين: ويقصد بالطّبيعة درجة العلم التي يتمتّع بها هؤلاء العلماء، فالعلماء المهاجرون لم يكونوا موسوعِيّين، بل كانوا على درجة متواضعة من العلم نسبيا، إذا استثنينا بعض العلماء القلائل الذين رحلوا إلى الأندلس في القرن الرّابع الهجري، من أمثال " أبي علي القالي"، والذي استقرّ في قرطبة يدرّس الطلّاب، ويؤلّف الكتب اللّغوية والنّحوية، فلاقى تشجيعا وترحيبا كبيرين من لدن العلماء والحكّام. وبذلك استطاع القالي أن يُحدث ثورة علمية في الأندلس، وذلك بتأثيره الكبير على نشر اللّغة والنّحو فيها[10].

ومن أشهر المهاجرين الذين اهتمّوا باللّغة العربيّة، وأوْلَوا المعاني اهتماما كبيرا نذكر: ابن شرف القيرواني، وإسماعيل بن أحمد القيرواني صاحب شرح المختار من شعر بشّار، وعثمان بن أبي بكر

9 فادي صقر أحمد عصيدة، جهود نحاة الأندلس، أطروحة مكمّلة لمتطلّبات درجة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها، كلّية الدّراسات العليا، جامعة النّجاح الوطنية، نابلس-فلسطين-ص: 27، 28.

10 يراجع، جهود نحاة الاندلس، ص: 29.

السفاقسي، كما نجد في المقابل من اهتمّ من المهاجرين بالشّعر والأدب، كالشاعرين "أبو حمديس" و" أبو العرب"[11].

3- الهدف من الرّحلات: إنّ الهدف الغالب من الرّحلاتالتي كان يقوم بها أهل المشرق إلى الأندلس في غالبها، من أجل التّجارة والتكسّب، نظرا لما كانت تتمتّع به البلاد من خيرات، غير أن البعض يرى في الهجرة سببا للنّجاة من التشرّد والتّنكيل، بخاصّة في القرن الخامس الهجري الذي تميّز بظروف سياسية قاسية[12].

03.02 المناظرات اللّغوية:

تعدّ مجالس المناظرات اللّغوية مجالا جديدا، لم يتَيَسَّر ظهوره في القرن الثّالث، إلّا بعد اتّساع نطاق الدّراسات اللّغوية، واتّساع ثقافة الدّارس اللّغوي، وتحصيله، وبروز دور المؤدِّب، بالإضافة إلى ظهور العالِم اللّغوي الأندلسي الذي يقف على مستوى علماء الشّرق، وبذلك ظهر مجال جديد للنّشاط اللّغوي إلى جانب حركة التّدريس والتّأديب عامّة. ومن أمثلة المناظرات التي جرت في هذا العصر، مناظرة قامت بين "فاتن الحكمي الخادم" المعروف ب "الخازن" وبين "صاعد"، وكانت الغلبة فيها ل"فاتن"، وهو رجل صقليّ أقرّ له أبو بكر الزّبيدي بالبصر في علم اللّسان واللّغة، كما كان ضابطا لكتب اللّغة قائما عليها، راجح العقل واسع المعرفة، فصيح اللّهجة، وتجدر بنا الإشارة إلى الرّباحي، الذي يُعدُّ فاتح باب المناظرات في كتاب سيبويه، حيث كان لا يقتصر في مناظرته على اللّغة وحدها، بل كان يناظر ويحاجج أهل الفقه أيضا[13].

04.02 جهود الحكّام في النّهضة اللّغوية:

تتمثّل جهود الحكّام في النّهضة اللّغوية في الأندلس في أمور عدّة، نذكر منها:

11 ألبير حبيب مطلق، الحركة اللّغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتّى نهاية عصر ملوك الطّوائف، رسالة قدّمت لنيل درجة أستاذ في الآداب إلى دائرة اللّغة العربيّة، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1965، ص: 223، 224.

12 يراجع، جهود نحاة الأندلس، ص: 29

13 الحركة اللّغوية في الأندلس، ص: 77، 78.

1- إنشاء مكتبة عامّة تابعة للقصر: كان الحكّام يجلبون الكتب المصنّفة من البلاد التي هاجروا إليها، إلى أن ضاقت الخزائن بما فيها من كتب. فأخذ الحاكم يعتمد على التجّار بإرسالهم إلى الأقطار، أو بعثِهم إلى المؤلّف نفسِه، يطلب منه نسخة من كتاب ألّفه، مع توظيف مجموعة نُسّاخ في بغداد وغيرها، لاستنساخ الكتب وإرسالها إلى الأندلس، مع وجود جلّادين وخطّاطين داخل المكتبة. وبذلك أصبحت المكتبات الخاصّة، تحوي كتبا في العلوم المتنوّعة كعلوم الطبّ والحساب والنّحو والأشعار والأخبار والفقه والحديث وغيرها. ومن أشهر هذه المكتبات، مكتبة ابن فطيس التي كان يعما فيها ستّة من النسّاخين، ولها أمين خاصّ[14].

2- التّحفيز على التّأليف وإغداق العطايا على المؤلّفين: أولى الحكّام المؤلّفين في شتّى العلوم عناية فائقة، وبخاصّة العلوم اللّغوية، فها هو الزّبيدي يحظى بتحفيز لتأليفه كتاب " في طبقات النّحويين واللّغويين في المشرق والأندلس"، وهو كتاب قيّم يحوي تراجم النّحويين واللّغويين في المشرق والأندلس، والذي أصبح عمدة كلّ مؤلّف في هذا لموضوع، والدّليل على ذلك ما جاء في مقدّمة الزّبيدي، أنّ الحاكم لم يقف عند حدِّ الاقتراح، بل حثّ الزّبيدي على الشّكل الذي سيتّخذه تأليفه، كما امدّه بعلمه وعنايته[15].

هذه العناية إن دلّت على شيء، إنّما تدلّ على حرص حكّام الأندلس على تطوير ورُقيّ النّهضة العلميّة في البلاد.

وختاما لما سبق، هذه العوامل وأخرى، ساهمت في انتشار النّحو في بلاد الاندلس، وساعدت على نشر ثقافة وحضارة بلاد المشرق، وبذلك أصبحت بلاد العلم والحضارة.

14 الحركة اللّغوية في الأندلس، ص: 56، 57.

15 يراجع، الحركة اللّغوية في الأندلس، ص: 58، 59.

03. تيسير النّحو في الأندلس:

يعدّ كتاب سيبويه أقدم كتب النّحو، فهو كتاب جامع مانع للأبواب النّحوية، انشغل به المؤلّفون بعده يشرحونه ويفصّلون فيه، ويوضّحون مشكَلَه. يقول أبو عثمان المازني في شأن الكتاب:" من أراد ان يعمل كتابا كبيرا في النّحو بعد كتاب سيبويه فلْيَستحِ"[16].

فالكتاب الكبير في النّحو، هو كتاب سيبويه، باعتبار أنّه لم يفته شيء من علم النّحو إلّا وفصّل فيه في كتابه.

وقد أوغل بعض العلماء في تعقيد النّحو، والبحث في جزئياته الدّقيقة، ممّا ادّى إلى البحث في قواعد لغات يمكن أن تؤثّر في قواعد اللّغة، فأصبح بذلك علم النّحو علما صعبا معقّدا، ممّا استوجب تيسيره وتقريبه إلى أذهان المتعلّمين، ومن صور التّيسير التي عرفها النّحو[17]:

أ/ تخليص النّحو من الشّوائب التي أدخلها عليه العلماء: وذلك دون فائدة بل بالعكس، زادته لبسا وغموضا، فقد رُوي أنّ أعرابيّا وقف على مجلس الأخفش، فسمع كلام أهله في النّحو، وما يُدخلونه معه، فحار وعجِب وأطرق ووسوس! فقال الأخفش: ما تسمع يا اخا العرب؟ قال: "أراكم تتكلّمون بكلامنا في كلامنا بما ليس في كلامنا"[18]. فالأعرابي هنا، استقبح ما أدخله بعض النحاة على اللّغة العربيّة.

ب/ تنظيم الأبواب النّحوية وترتيبها: كانت مصادر النّحو ومصنّفاته تعاني الاضطراب في تتابع الأبواب، وتوزيع الجزئيات، مع غياب الدقّة في المصطلحات، وصعوبة الاهتداء إلى المسائل

16 ابن النّديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت-لبنان-ص: 77.

17 يراجع، الحركة اللّغوية في الأندلس، ص: 19، 20.

18 جمال الدّين بن يوسف القفطي، انباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1986، 42/2.

النّحوية[19]. هذا الاتّجاه كان له الأثر البارز في توعّر النّحو، أدّى ذلك إلى ظهور محاولات جادّة لتخليصه من هذا العائق، وقد تفرّعت هذه المحاولات على قسمين:

- القسم الأوّل: يتمثّل في عرض النّحو مختصَرا خاليا من المناقشات.
- القسم الثّاني: يتمثّل في الابتعاد عن المنطق والفلسفة، وذلك بتحرير وجهات نظر حول قضايا علم النّحو المختلفة[20].

ذلك لأنّ القرن الرّابع الهجري شهد قيام عدد كبير من الدّول الإسلامية المستقلّة في شرق العالم الإسلامي وغربه، وأصبحت عاصمة كلّ دولة مركزا لإحياء الدّرس والبحث في مختلف العلوم، ومن بينها علم النّحو، حيث كان بين تلك العواصم تنافس على اجتذاب العلماء وتشجيعهم، وكانت نتيجة ذلك انّ الدّراسات النّحوية بعد ان كانت محصورة في البصرة والكوفة ثمّ بغداد، اتّسعت مراكزها واجتهد علماء كلّ قطر في خدمة الدّرس النّحوي عن طريق استيعاب ما ورثوه عن السّابقين وتفسيره والتّعليق عليه، أو وضع مؤلّفات جديدة يثبتون بها وجودهم العلمي. وعلى الرّغم من كثرة الإنتاج في تلك الفترة، وتميّز المؤلّفات في مختلف العواصم بسمات محلّية فإنّها لم تخرج في مجملها – منهجا ومضمونا–عن الموروث.

ولقد كثُرت المؤلّفات النّحوية، وتنوّعت ومالت إلى الإسراف في الحجم، حتّى عُدّت دراسة النّحو عملا شاقّا باعتراف الجميع. هذا الوضع ادّى إلى ظهور تطوّر في الدّرس النّحوي في العالمين المشرق والأندلس، فقد ظهرت موجة من المتون والمنظومات النّحوية في القرن السّابع الهجري، تهدف إلى تركيز النّحو وجمع مادّته الأساسية في مؤلّفات صغيرة موجزة، ومن أشهر تلك المتون في الأندلس: ألفية ابن معطي (ت 628هـ)، الألفية والفوائد لابن مالك (ت 672)[21].

19 يراجع، جهود نحاة الأندلس، ص: 20.

20 عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النّحو العربي، دراسة نقدية، دار القلم، الكويت، ط1، 1985، ص: 12.

21 في إصلاح النّحو العربي، ص: 12، 13.

4. أثر الشعر التّعليمي في تيسير النّحو في الأندلس:

كان الشّعر مصحوبا باهتمام كبير في التراث العربي الإسلامي، فقد كانت وسيلة لحفظ التّاريخ والتّراث والعادات والتّقاليد، وذلك لما يتميّز به من سهولة الحفز والرّواية، وبما أنّ العلم في حاجة إلى حفظ القواعد، عمد النّحاة إلى نظم الشّعر التّعليمي،" حيث يُعدُّ هذا الشّعر أنّه شعر عربي النّشأة في أواخر القرن الأول الهجريوأوائل الثاني، أو قُل أواخر دولة الأمويين إذ أنّ أراجيز الرّجاز وبخاصّة رؤبة والعجاج قد كانت متونا لغوية، وبالتالي فهو النواة والبذرة التي انبنى عليها الشّعر التّعليمي في جانب الكلام المنظوم، وتطوّر في جانب النّثر فكانت المقامات.. ويقول أيضا:" ونحن نؤمن بأنّ هؤلاء الرجاز–وفي مقدّمتهم رؤبة–هم الذين أعدّوا شعراء العصر العبّاسي، لا للشّعر التّعليمي فحسب، بل لاقتباسهم للغريب في أشعارهم، فالغريب أصبح جزءا مهمّا في مادّة الشّعر عند الشّعراء الممتازين من أمثال بشار وأبي نواس وأبي تمام[22].

ويقول ضيف عن رؤبة وعن أبيه العجاج:" والإنسان لا يلمّ بديوانهما حتّى يقطع بأنّهما كانا يؤلّفان أراجيزهما قبل كلّ شيء من أجل الرواة، ومن أجل أن يمدّاهم بكل غريب، وكلّ أسلوب شاذ، ومن هنا كنّا نسمّي هذه الأراجيز متونا لغوية، وقد بلغت هذه المتون صورها المثالية عند رؤبة، فهو النمو الأخير لهذا العمل التّعليمي الذي أرادته المدرسة اللّغوية من جهة، والذي استجاب له الرجاز من جهة أخرى. ولعلّ هذا ما جعل اللّغويين يوقّرونه أعظم التّوقير، فأبو الفرج يقدّمه في ترجمته بقوله:" أحذ عنه وجوه أهل اللّغة، وكانوا يقتدون به وبشعره ويجعلونه إماما"[23].

22 شوقي ضيف، التطوّر والتّجديد في الشّعر الأموي، دار المعارف، مصر، ط3، 1978، ص: 352.

23 التطوّر والتّجديد في الشّعر الأموي، ص: 345.

ويقول أيضا:" والأرجوزة الأموية من هذه النّاحية تُعدّ أوّل شعر تعليمي ظهر في اللغة العربيّة"[24]. ويقول أيضا:" ومهما يكن فقد ألهمت الأرجوزة الأموية الشّعراء في العصر العبّاسي أن يقوموا بنظم شعرهم التّعليمي كما ألهمت أصحاب النّثر وضع المقامة"[25].

أمّا عن الأندلس فلا يوجد دليل واضح عن مبتدع الشّغر التّعليمي فيها، غير أنّ بعض المصادر التّاريخية تَنسِب أقدم أَرجوزة في الشّعر التّعليمي ل "أحمد بن عبد ربّه الأندلسي" (ت 328هـ)، وجاءت في مدح الخليفة "عبد الرّحمن النّاصر"، وبلغت حوالي أربعمائة وخمسين بيتا، وصف فيها غزوات النّاصر وحروبه وتاريخ تلك الغزوات والحروب[26].

ولعلّ أبرز سبب لوضع هذه المتون، هو رغبة العلماء في تيسير النّحو وتذليل صعابه، إضافة إلى أنّهم رأوا أنّ النظم التّعليمي هو أبسط الوسائل وأقصرها لتيسير النّحو وتسهيله[27]. كما أنّها ساهمت في جعله قريبا من أذهان المتعلّمين، وذلك بتميّزها بمجموعة سمات نذكر منها:

- تقديم المنظومات النّحوية النّحو معياريا، فنبّهت على الأخطاء في الأداء اللّغوي.
- اتّباع بعض طرق التّدريس التي نادى بها التّربويون في العصر الحديث.
- دراسة اللّهجات العربيّة القديمة، والتّركيز على دراسة اللّهجة الفصيحة العامّة، واللّهجة واسعة الانتشار

ومن أمثلة منظومات التّيسير:

ألقية ابن مالك: كانت من أعظم الوسائل التّعليمية التي اتّبعها العلماء من أجل تعليم النّحو العربي وتسهيله، لذلك فقد كانت هذه الألفية، وغيرها من الشّعر التّعليمي، وهي تهدف بالدّرجة الأولى

24 التطوّر والتّجديد في الشّعر الأموي، ص: 348.

25 التطوّر والتّجديد في الشّعر الأموي، ص: 353.

26 ابن عبد ربّه، أبو عمر، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان–، 362/2.

27عبد القادر رحيم الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النّحوي خلال القرن السّابع الهجري، منشورات جامعة قازيونس، بنغازي، ط2، 1993، ص: 206

إلى التّيسير على المتعلّمين، إلى جانب اتّجاهه التّجريدي في الوسائل التّعليميّة[28]. وبذلك جاءت لِتَخرج النّحو من الجمود، وتُعيد له الحياة من جديد، وتسهّل على الطّلبة حفظ قواعده، وأحكامه وفهم مصطلحاته وأمثلته، وقد برز التّسهيل في هذه الألفية من خلال مسايرتها لأساليب البحث اللّغوي المعاصر.[29]

ومن مظاهر التّيسير والتّخفيف في الألفية ما يلي:

- الإيجاز والابتعاد عن الحشو والشّرح.
- نظم القصيدة على بحر الرّجز وهو أنسب البحور للشّعر التّعليمي.
- ترتيب الأبواب والفصول بشكل منظّم ومرتّب.

28 عبد الرّحمن ممدوح، المنظومة النّحوية-دراسة تحليلية-، دار المعارف الجامعية، 2000، ص: 07.

29 المنظومة النّحوية: ص: 08.

وبهذا النّظم التّعليمي، يَسَّر علماء الأندلس نظم قواعد النّحو في مختلف جزئياته، وبذلك أظهر الأندلسيون براعتهم وقدرتهم على فهم الدّقائق الخفيّة لعلم النّحو.

خاتمة: وبعد عرض أهمّ مبادئ منهج تّيسير النّحو العربي في الأندلس، بجدر بنا في الأخير أن نبرز أهمّ النّتائج التي توصّلت إليها الدّراسة وهي:

- اعتناء نحاة الأندلس بعلوم اللّغة جميعها، وعلم النحو على الخصوص.
- العمل على تطوير النّهضة اللّغوية والنّحوية في الأندلس، بتنظيم عدد من الرّحلات إلى بلاد المشرق، مهد النّحو العربيّ.
- اهتمام الحكّام بالحركة العلمية واللّغوية، وإنشاء المكتبات العامّة والخاصّة.
- نظم العلماء في الأندلس للشّعر التّعليمي، بغرض تيسير وتبسيط الأبواب النّحوية، والتخلّص من مسائل التّعقيد التي علقت به.

قائمة المراجع المعتمدة:

- ابن النّديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت–لبنان–.
- ابن عبد ربّه، أبو عمر، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان–.
- أحمد بن محمّد المقري التّلمساني، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت–لبنان–دط، 1968.
- ألبير حبيب مطلق، الحركة اللّغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتّى نهاية عصر ملوك الطّوائف، رسالة قدّمت لنيل درجة أستاذ في الآداب إلى دائرة اللّغة العربيّة، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1965.
- جمال الدّين بن يوسف القفطي، انباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1986
- خديجة الحديثي، المدارس النّحوية، دار الامل، ألابد–الأردن–ط3، 2001.
- خليل إبراهيم السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مطلوب، دار الكتب الوطنية، بنغازي–ليبيا–ط1، 2000.
- سعيد الأفغاني، من تاريخ النّحو العربيّ، دار الفكر، بيروت–لبنان–دط، دت.
- عبد الرّحمن ممدوح، المنظومة النّحوية–دراسة تحليلية–، دار المعارف الجامعية، 2000.
- عبد القادر رحيم الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النّحوي خلال القرن السّابع الهجري، منشورات جامعة قازيونس، بنغازي، ط2، 1993
- عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النّحو العربي، دراسة نقدية، دار القلم، الكويت، ط1، 1985.
- فادي صقر أحمد عصيدة، جهود نحاة الأندلس، أطروحة مكمّلة لمتطلّبات درجة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها، كلّية الدّراسات العليا، جامعة النّجاح الوطنية، نابلس–فلسطين.
- محمد الطنطاوي، نشأة النّحو وتاريخ أشهر النّحاة، دار المعارف، القاهرة–مصر–، ط2، د.ت